

الأمم

تَصَدَّرُهَا كِلِيَّةُ التَّرْبِيَةِ بِجَامِعَةِ بَغْدَاد

المجلد السابع

١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م

٧

مطبعة الكهاف - بغداد

الأعراب في اللغة ودلالاته

بحث مقارن في اللغات السامية

للدكتور ابراهيم السامرائي
المدرس في قسم اللغة العربية
في كلية الاداب

البحث في هذا الموضوع ينصب على مسألة الاعراب وكيف كانت ، ومسألة الاعراب ولا سيما في العربية من المسائل الثقيلة لدى الباحثين في فقه اللغة ، فقد تصدى لها القدامى من علماء العربية ، كما بحث فيها المحدثون من عرب ومستشرقين . ولقد اهتم به النحاة واللغويون منذ عهود ازدهار العربية ، ذلك أن الحفاظ على الاعراب كان ضرورة نافعة ، ومعنى هذا ان الاعراب كان ثقيلا على اللسان ، فقد فشا اللحن ، وفسدت الطبيعة اللغوية ، وصار الناس يسمعون فيستكبرون هذا الاعوجاج في اللسان . وقد جاء في الاخبار أن أبا الاسود الدؤلي سمع رجلا يقرأ في كتاب الله : ان الله برىء من المشركين ورسوله بالحفض ، فاستعظم ذلك منه . (١) وكان هذا سبب وضعه للنحو ، والاخبار كثيرة في هذا الموضوع وان كان يلوح على طائفة منها طابع الوضع والافتعال .

وما دام هذا الاعراب ثقيلا على اللسان فقد تخفف منه كثير من الناس ، بحيث صار للناس لغة في التخاطب لم يلتزم فيها هذا القيد الثقيل في حين أنهم يلتزمون بالاعراب اذا كتبوا . فقد أفاد الجاحظ في كتاب البخل ما نقله « وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب ولفظا معدولا عن جهته فاعلموا اننا تركنا ذلك لان الاعراب يبغض هذا الباب ، ويخرجه عن حده الا أن احكى

(١) ابن الانباري ، نزهة الالباء ص ١٠ .



كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هرون وأشباهه « (١) »
على أن هذا لا يعنى أن الناس عامة لا يعربون كلامهم ، فقد ذكر الجاحظ
نفسه عن الاعراب • فهو يعد من أجل المتع أن يستمع المرء الى حديث الاعراب
انفصحاء العقلاء ، أو الى محاضرة العلماء البلغاء (٢)

وقد بقيت مسألة الاعراب قضية العربية الكبرى طوال العصور المتعاقبة ، وما
زالت كذلك حتى يومنا هذا • ومن أجل ذلك كان من المفيد النافع أن تدرس هذه
القضية دراسة دقيقة •

لقد احتفظت اللغة العربية الفصيحة بظاهرة الاعراب ، وهى من صفات
العربية الموهلة فى القدم ، فى حين أن سائر اللغات السامية - ما عدا الاكدية -
قد فقدت هذه الظاهرة منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الاعراب بقاياها كما فى
العبرية مثلاً •

أما فى اللغة الاكدية فقد عرفت الحركات الثلاث فى البابلية القديمة فى
النصوص التى ترجع لعهد حمورابى ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت الى
حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ولم تلبث هذه المرحلة طويلاً
حتى تطورت الى مرحلة الحركة الواحدة وهى الكسرة الممالة •

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقربها منها أوجد الاعراب فى النبطية كما
تؤيد ذلك النقوش التى عثر عليها • وقد ذهب "NÖLDKE" المستشرق
الامانى الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة فى حالة الرفع ، والفتحة فى حالة
النصب والكسرة فى حالة الجر • ولا يعقبون هذه الحركات بالنون • (٣)

ويرى المستشرق "Lithmann" أن أواخر الكلمات فى اللهجة النبطية

(١) البخلاء طبعة الجاحزى ص ٣٣ •

(٢) البيان ج ١ ص ٦٢ •

(٣) Th. NÖLDKE Die Semitischen Sprachen, Leipzig 1899, s. 51 f.



قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب (١) . وللاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتى المفعول به وفي ضمير التبعة (٢) . على أن هذا الاثر ضئيل جدا ، فقد أوشكت تخلو من الاعراب لغة العهد على أن هذا الاثر ضئيل جدا ، فقد أوشكت تخلو من الاعراب لغة العهد القديم . غير أن علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الالف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة احرف العلة . وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بنزع الخافض ، كما تظهر في آخر الظرف المنصوب (ليلا) (٣) وتعنى (ليل) ، و(عتا) (٤) وتعنى (حين) . وكما تلحق هذه العلامة الظروف فانها تلحق المصدر فينصب كما هو الحال في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متلوة بميم زائدة (للتيسيم) الذي يقابل التنوين في العربية (٥) مثال ذلك (يومام) وتعنى (يوما) و (خنام) وتعنى (مجانا) ، والمتبع لشوارد النصوص في اللغة العربية ربما وجد آثارا تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة لعلهما بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العربية القديمة .

ويكاد يجمع المستشرقون على ان الاعراب ظاهرة سامية فالمستشرق الالماني Bergstraesser يقول : ان الاعراب سامى الاصل تشترك فيه اللغة الاكدية وفي بعضه اللغة الاثيوبية (الحبشية) ونجد آثارا منه في غيرها (٦) . على ان

(١) Enno Littmann Inscriptions, Leiden 1914 p. 37 ff.

(٢) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٥ .

(٣) تكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا تلفظ .

(٤) ربما قابلت هذه الكلمة (حتى) في العربية ، فقد جاء في القراءات

أن أحدهم قرأ (عتى حين) .

(٥) راجع مقالتنا (النون في اللغة العربية) المنشورة في الجزء الثالث من

مجلة كلية الاداب والعلوم ١٩٥٨

(٦) برجستراسر : التطور النحوى ص ٧٥ .



هؤلاء يعللون سبب وجود هذه الظاهرة فيرجعون ذلك لحلو اللغات السامية من ادغام للكلمات أى وصل كلمة باخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منهما كما فى اللغات الارية (١) . ذكر هذا اسرائيل ولفنسون كما ذكر غيره (٢) .

ولا نريد هنا أن نعرض للرد على هذا الرأى لان ذلك يخرجنا عن مادة الموضوع . ولكننا نكتفى بالقول أن فى العربية شيئاً مما يقولون فالتركيب والنحت من الادوات فى هذا الموضوع وقد استفيد من النحت فى بناء الافعال الرباعية وغير الرباعية .

ويختلف الرأى فى دلالة الحركات على المعانى الاعرابية بين القدماء والمحدثين فى اللغة العربية . وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدماء هو الخليل بن احمد . ذكر سيويه (٣) ان الخليل قال: « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحروف ، ليوصل الى التكلم به ، والبناء هو الساكن لا زيادة فيه . ولعل الجدل فى دلالة هذه الحركات على المعانى الاعرابية وعدم دلالتها، دار بين تلاميذ سيويه والكسائي فذهب جمهورهم الى الاول وذهب آخرون الى الثانى » (٤) .

ويمثل رأى الذاهين الى أن الحركات دوال على معانى اعرابية ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي فى الاشباه والنظائر (٥) قوله : « ان الاسماء لما كانت تعورها المعانى وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ولم

(١) ولفنسون ص ١٥ .

(٢) Carl Brockelmann, Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen, Berlin 1908. I.S.5.

(٣) سيويه : الكتاب ج ٢ ص ٣١٥ .

(٤) المخزومي : مدرسة الكوفة ص ٢٨٣ .

(٥) السيوطي : الاشباه والنظائر ج ١ ص ٧٦ - ٧٨ .



يكن فى صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعانى ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعانى وتدل عليها ليتسع لهم فى اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » •

ويمثل رأى الطائفة الاخرى قطرب أبو على محمد بن المستنير وهو تلميذ سيويه • قال قطرب : انما اعربت العرب كلامها • لان الاسم فى حال يلزمه السكون للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون ايضا لكان يلزمه الاسكان فى الوقف والوصل ، فكانوا يبطئون عند الادراج ، فلما وصلوا وامكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للاسكان ليتبدل الكلام ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ولم يجعلوا بين ساكنين فى حشو الكلمة ولا فى حشو بيت ولا بين أحرف متحركة • لان فى اجتماع الساكنين يبطئون فى كثرة الحروف المتحركة ويستعجلون وتذهب الصلة من كلامهم فجعلوا الحركة عقب الاسكان • (١) وقد انفرد « قطرب » فى هذا الرأى ، ولم يقل بمقالته نحوى أو لغوى آخر غيره •

على أن المحدثين قد عرضوا للموضوع نفسه فكانوا فريقين كالمقدمين • وهؤلاء عرب وغيرهم من المستشرقين ، وطائفة اخرى تذهب مذهب ابى على محمد بن المستنير (قطرب) •

وممن ذهب مذهب هذا الأخير الدكتور ابراهيم أنيس فى كتابه (من اسرار اللغة العربية) (٢) على انه يحاول له أن يتعصب للرأى بشكل يخيل للقارئ أنه المبدع والاول والمعيد فى هذا القول • وكأنه لم يكن هناك فى القرن الثانى الهجرى رجل اسمه (قطرب) (٣) • وهذا الرأى فى جملته غريب وقد انفرد فيه صاحبه ولم يؤيده فيه الا الدكتور ابراهيم أنيس بعد أكثر من أحد عشر قرنا •

(١) نفس المصدر ج ١ ص ٧٩ •

(٢) أنيس : من اسرار اللغة العربية ص ١٤٢ •

(٣) قطرب ابو على محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة •

ووجه الخطأ في هذا الرأي ان العربية كانت محربة منذ أقدم العصور، والنصوص شاهدة على ذلك • وقد كان هذا الاعراب سهلا على اللسان ثم ثقل وصعب حين فسدت الطبائع العربية وفشا اللحن وتحول المجتمع العربي الخالص الى مجتمع ضخم كبير فيه اجناس شتى ، ولا سيما في الحواضر العربية • فلم يلجأ للاعراب في فترة متأخرة للسبب الذي ذكره صاحب الرأي المتقدم • على ان وجود الاعراب في اللغات السامية الاخرى في عهودها السحيقة في القدم ثم اضمحلال هذا الاعراب لا يؤيد مذهب قطرب في شيء وقد عرضنا للموضوع فيما تقدم • على أن الدكتور ابراهيم أنيس حين يقول بهذا الرأي ينتهي الى « انه ليس للحركات الاعرابية مدلول وأن الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهان العرب الاقدمين وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج اليها في كثير من الاحيان لوصل الكلمات بعضها » (١) ثم انه يرى « أن النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الاعراب وقاسوا بعض اصول رغبة منهم في الوصول الى قواعد مطردة منسجمة » (٢) ثم هو يفترض افتراضا لا يقوم على أساس علمي تاريخي فيقول « ولعلمهم تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ففيها يفسر بين حالات الاسماء التي تسمى "Cases" ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة » (٣) • وفان الاستاذ أن اليونانية تختلف نحوها وطبيعتها عن العربية ولم يكن واضح النحو عارفا أو قل متأثرا باليونانية بأى وجه من الوجوه •

ثم انه يستدل بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب • ولم يبق له من أثر في لهجات الاقاليم العربية ويعجب من هذا (٤) على أننا لا يمكن لنا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلا على أن الاعراب ظاهرة لم تكن

(١) أنيس : من أسرار اللغة ص ١٥٨

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٩ •

(٣) المصدر نفسه ص ١٧١ •

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٩



موجودة في العربية الاولى (١) • وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة
ثم زال هذا الاعراب في العهود التي تعاقبت عليها •

وقد أفاض الدكتور على عبد الواحد وافى في الرد على الرأي المتقدم في
كتابه « فقه اللغة » •

وقد عرض للموضوع نفسه الاستاذ ابراهيم مصطفى (٢) وقرر ان الحركات
دوال على معان بل ان من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني (٣)
ثم هو يقول « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل
الحرص وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً • ونحن نعلم أن العربية لغة الایجاز،
وأن العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السيل ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة
اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة ملجئة اليها » وعنده ان الفتحة
ليست علاقة اعراب ولا دالة على شيء وانما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند
العرب ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة (٤) ، واما الضمة فهي علم الاسناد اما
الكسرة فانها علم الاضافة (٥) • ورأى الاستاذ مصطفى في الفتحة غريب في بابه
ولا يستند الى سند علمي فقد دلت المقارنات الى أن الفتحة وجدت في حالة النصب
في كثير من اللغات السامية ولم يكن هناك سبب للفتحة المستمية •

ويرى الاستاذ Mareel Cohen أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة
وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الادبية ، اما لغة

(١) الدكتور وافى : فقه اللغة ص ١٣ •

(٢) ابراهيم مصطفى : احياء النحو ص ٤٨ ، ٤٩ •

(٣) واستخدام الحركات في الدلالة على المعاني وتعددتها يخرج عن هذا
الباب وربما أفرد له مقالة خاصة •

(٤) احياء النحو ص ٥٠ •

(٥) المصدر نفسه ص ٨٠ - ١٠٠ •

التخاطب فلم تكن معربة (١) . وهو يستدل على ذلك (بأن قواعد هذا شأنها في الشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب وانما هو من اختصاص اللغة الفصيحة المهذبة) . وقد فات صاحب هذا الرأي الحقيقة التاريخية ولم يكن ملما بأن اللغة المعربة كانت لغة العرب في الجاهلية ولغة القرآن التي عمت العرب جميعا واخضعت لها لهجات الاقاليم . ولم تكن لغة القرآن مهينة للقراءة والكتابة حسب ، بل كانت لغة يستعملها الناس على اختلاف طبقاتهم . وكتب الادب والاخبار تؤيد هذا . ولا سبيل الى افتراض هذه الصعوبة على اللغة في وقت نحسها نحن الان .

اما الاستاذ (فك) المستشرق الالماني فيرى ان حركات الاعراب هي صفة من صفات العربية وسمة من أقدم سماتها اللغوية والتي فقدت في اخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة (٢) . وعنده أن العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الاقليمية في الحواضر .

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

(١) عبد الواحد وافي : فقه اللغة ص ١٣٠ عن :
Cohen, Les Langues du monde.

(٢) يوهان فك : العربية ترجمة الدكتور النجار ص ٣ .